الفلسفة والتحديات في عالم التقنية والعلم

Philosophy and challenges in the world of technology and science

عبد الغني بوالسكك -جامعة باتنة1، الجزائر

ملخص

كانت الفلسفة ولازالت تصنع الحدث وهو يصنعها، فمنذ نشأتها ساهمت في ولادة التفكير الانساني في العالم والحياة والوجود والكون، من حيث انها كانت تسأل عن سر الوجود والحياة والقيم والحقيقة، وبفضلها كانت المعرفة وكان العلم، حيث كانت تحاور كل قضايا الانسان التي شغلته والتي لا زالت تشغله، بل ودفعته لأن يفكر ويبدع وينتج ثقافة وحضارة، وبفضلها شهدنا تطور بل انفجار كبير للمعرفة والعلم والانسان، إلا ان ولادة التكنولوجيا او ما يسمى بالتقنية والرقمية والعوالم الافتراضية وضع الفلسفة موضع المساءلة عن فحوى وقيمة وجودها في عالم رقمي افتراضي تسيطر عليه الآلة والتكنولوجيا.

الكلمات المفتاحية : الفلسفة، العلم، التقنية، التحديات.

Abstract

Since its inception, it has contributed to the birth of human thought in the world, life, existence and the universe, in that it was asked about the secret of existence, life, values and truth, and thanks to it was knowledge and science, where all the human issues that I occupied But the birth of technology or so-called technology, digital and virtual worlds put philosophy in question for the content and value of its existence in a virtual digital world controlled by the machine and the technology.

Keywords: philosophy, science, technology, challenges.

مقدمة:

إذا كان لكل عصر فلسفته، من حيث أن الفلسفة تعالج مشاكل كل عصر و قضياه بالمفهوم الكلاسيكي، وإذا كانت الفلسفة قد اتهمت في السابق بأنها تسبح في ذلك البرج العاجي، فإنها في الحقيقة تصنع الواقع والواقع يصنعها، فهناك إذن جدلية، ولقد عكست الفلسفة الحدث في اليونان القديمة وفي العصور الوسطى والحديثة، وها هي تصنع الحدث اليوم، والحدث يصنعها، وهذا الحدث سواء أكان فكريا أم سياسيا إعلاميا فيما يسمى بالثورات، أم علميا تكنولوجيا، في ما يسمى بزمن العولمة والهيمنة، أو إيكولوجيا فيما يسمى بخطر الموت البيئي، ولطبيعة هذه العلاقة الجدلية، كان الهدف من هذه الدراسة التي تسلط الضوء على مدى قدرة الفلسفة على مسايرة الثورة التكنولوجية، ومدى قيادتها للتغيير، وهنا تكمن أهميته من حيث أنه يؤكد دور الفكر الفلسفي في قيادة وصنع الواقع المعيش، وأن للفكر مضمون ومادة، يساعد على قيادة هذا التغيير، أما فيما يخص المنهجية المعتمدة في دراسة هذا الموضوع، فهي منهجية تقوم على تحليل المركب إلى عناصره الأساسية حتى يتسنى معرفة جميع أبعاده، وتأثيرها في هذا الكل المركب. فإلى أي مدى اثرت الثورة التكنولوجية في الانسان؟ وهل حياة الانسان طغت عليها التقنية، هل نحن بصدد ولادة انسان جديد؟ هل يمكن ان نفكر في ما بعد الانسان؟

1. جدل الفلسفة والحدث العلمي والتكنولوجي أيهما يصنع الآخر؟

بما أن الفلسفة هي القدرة على فهم الواقع وقراءته فإنها تتطور وتساير هذا الواقع بما استجد فيه من أحداث، سواء على مستوى المفاهيم أو المناهج أو حقول السياسة والأخلاق والأفكار، وهذا يقودها إلى الخلق والتطور المعيش والإبداع ، وإذا كانت الفلسفة بعيدة عن قراءة الواقع المعيش وعاجزة عن مسايرة الحدث فإنها تقع في الأصولية والتقليد والثبات وتفقد طابعها التجديدي والإبداعي الخلاق. "فالعمل الفلسفي يتميز بخلق المفاهيم الخارقة وصوغ الإشكاليات الهامة... إن الفيلسوف يخلق عالما مفهوميا هو الذي يتيح للنسق أن يتشكل وللمنطق أن يفعل"[(i)]

فالفكر الفلسفي فكر متعدد يقبل تعدد القراءات فهو فكر مفتوح، من هنا كان هذا الفكر يصنع الحدث، و الحدث يصنعه سواء اكان علميا ام تقنيا سياسيا ام اجتماعيا، ومعلوم أن هناك من يقول أن الفكر ما هو إلا انعكاس للواقع، وهناك نقيض هذا الطرح حيث يقول أن الواقع انعكاس للأفكار، وهذا ما يؤكد جدلية الفلسفة والحدث، وأن كل منهما يصنع الآخر في جدلية لا تتوقف ولا تنتهي وكما يقول علي حرب في كتابه القيم "الفكر والحدث": "صنع الواقع (يكون) بالاشتغال على الذات ونقد الأفكار أي بصرف المقولات، وتحويل المفاهيم وتعديل الأهداف أو إعادة صياغة البرامج والمشاريع"[(2)].

يفهم من هذا أن الواقع حسب علي حرب يتغير بتغير الفكر الذي يقود إلى قراءة الواقع والسعي إلى تغييره من منطلق نقد الذات أولا، لينتقل بعد ذلك علي حرب ويتكلم عن طبيعة الحدث الذي يصنع الواقع ويؤثر في التفكير الفلسفي عندما يقول: "فالحدث أكان إنجازا فكريا أو إبداعاً سياسيًا أو تشكيلاً حضاريًا قد يقرأ بصورة أعمق، أو يجري التعامل معه بعقلية أحادية تبسيطية وقد يوظف بصورة سيئة أو مدمرة"[3].

فالإشكالية في التعامل مع هذا الحدث الذي قد يعود إلى توظيفه لصالح الفكر والإنسان، أو لتدمير هذا الفكر والإنسان، وهنا تكمن الخطورة، سواء في قراءة الفكر أو الواقع أو الحدث أو تفكيكهما أو تحليلهما أو تأويلهما.

فبإمكان الحدث أن ينفجر ويتوسع وينتشر مشكلا عوالم جديدة، تعبر عن إمكان وجودي جديد، لهذا "يحتاج الحدث دوما إلى إعادة القراءة، بقدر ما يجري اختزاله أو مصادرته أو طمسه من خلال توظيفاته النبوية والرسولية أو المثالية والمتعالية أو الإيديولوجية والطوباوية"[4].

أما عن طبيعة الحدث أو مفهومه، فإن علي حرب يقول عنه إنه الذي يسمح بالإبداع والتطور في علاقة جدلية مفتوحة، سواء أكانت هذه العلاقة مع الذات أو مع الواقع بكل أبعاده الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية أو الفلسفية كل من زاويته، وهي القراءة التي تقود إلى فهم وتجاوز هذا الواقع تجاوزا إبداعيا لا تدميريا، وهنا يحدد طبيعة هذا الحدث عندما يقول عنه "الحدث هو إمكان مفتوح لتفسيرات جديدة كاشفة أو لقراءات مبتكرة ومثمرة"[5] فالفيلسوف هو من يعايش تجربة فكرية من خلال أحداث حياته سواء أكانت فكرية أو سياسية أو إعلامية أو علمية أو غيرها، بمعنى أنه يرتبط بعصره وظروفه فهو ابن عصره يصنع منه فكرا، ويصنع هو الواقع بأفكاره، وهذه هي جدلية الفلسفة والواقع، فلا وجود لفيلسوف منفصل عن عصره أو منطوي على ذاته "إن كل فيلسوف هو في الواقع مرآة لعصره يعكس ما فيه، وهو في نفس الوقت يحاول العلو على هذا الواقع ليرى نقائصه ويتشرف آفاقا أبعد لإصلاحه وتقديم أفضل الأفكار للنهوض به"[6].

والمشكلة حسب مصطفى النشار تكمن في قراءة نصوص الفلاسفة معزولة عن سياقها وعدم قراءتها في ضوء العصر الذي أنتجت فيه، وربما هذا ما يتفق فيه علي حرب مع مصطفى النشار، وحسب هذا الأخير، فالقراءة العصرانية لفكر الفيلسوف تعطيه مبررا لأفكاره، فهذه القراءة لا تجعلنا نقول أن مدينة أفلاطون مثالية بل نقول: لماذا فكر فيها أفلاطون؟ ألم يكن الواقع هو الدافع لذلك؟ لماذا أسست الماركسية والرأسمالية؟ ألا تعد انعكاسا لواقع ولفكر ولحدث؟

وما يدفع الفيلسوف لصنع الحدث والواقع هو النقد لأنه لا يبدع من عدم، فأفكاره تجديد لما طرح وفقا لظروف عصره، وهنا يبرر "الدور الهام الذي تلعبه الفكرة الفلسفية في تغيير الواقع وقيادة الأمم نحو صنع حضارتها المتميزة"[7].

ولقد مرت الفلسفة بمرحلة العلو أو السمو عن هذا الواقع والهروب عن الحدث إلى درجة أن ظن الفلاسفة بسموهم وتعاليهم أنهم يريدون صنع عوالم وبناء أنساق ومذاهب دون المشاركة في صنع الواقع وتغييره، ومن خلال جدلية الفلسفة والواقع في كل أبعاده، لنا أن نتساءل كيف تأسس الفلسفة للحدث الفكري؟ وكيف تتعامل معه؟

2. الفلسفة والحدث الفكري:

إذا كانت الفلسفة تصنع الواقع والواقع يصنعها في جدل مستمر، فإن أساس هذا الجدل هو الفكر، فالفكر يبحث عن الحقيقة مهما كان نوعها، وكما يقول علي حرب "إن الفكر هو علاقة بالحقيقة بقدر ما تفهم بوصفها أثر الحدث ومفعول من مفاعيله، سواء تعلق الأمر بحدث علمي أو تقني، مجتمعي أو سياسي، فني أو عشقي"[8].

فالفكر بقدر ما يصنع الواقع بقدر ما هو قراءة لهذا الواقع محاولا تحليله وتفسيره وتأويله "إن الفكر هو قراءة للحدث تسهم في صوغه بقدر ما تعترف بما تتولد عنه من الحقائق والوقائع، والفكر الذي ينفي الحدث يتحول إلى مجرد وهم أو إلى مجرد معتقد جامد"[9].

وأكبر ما يجسد لنا هذه الحقيقة هو فكر الثورة اليوم، فالفكر العربي الذي اتهم بالنوم والسبات، وأنه عاجز عن صنع الواقع لأنه على هامش التاريخ، وعاجز عن تغيير الواقع لأنه بعيد عن هذا الواقع، واتهم بأنه إقصائي أقصى ذاته بذاته، ها هو اليوم يصنع الحدث السياسي والفكري والإعلامي، عندما استيقظ من غفلته، محطما أغلال الجمود والقيود، مؤمنا ببدء نقطة الوعي التاريخية التي لا بد أن تأتي، واللحظة التاريخانية التي لابد أن تكون.

لهذا "فالفكر الذي يمارس بصورة خلاقة، فإنه نشاط معرفي أو مفهومي يتعدى مجرد التسجيل والانعكاس أو مجرد التمثيل والتصور إلى فعل لإنتاج والتركيب أو إلى عمل التكوين والتشكيل، بهذا المعنى لا يفكر المرء لكي يعرف فقط ما هو موجود أو لكي يتصور ما هو واقع، بل يفكر لكي يسهم في تشكيل العالم عبر أنظمة العلامة وألاعيب الدلالة أو عبر وقائع الخطاب ومنظومات الرمز، أو عبر المعادلات العلمية والمركبات المفهومية أو عبر أنماط الممارسات السياسية وأشكال التبادل الاجتماعي"[10].

فالحدث مَهْما كان يولد الوقائع والحقائق التي هي مثار التفكير والتي تستدعي التجديد في هذا التفكير، وقراءة الحدث تجعل الذات المفكرة في علاقة مع ذاتها ومع الواقع فهو دافعية للتفكير، ولتغيير الأفكار

والمفاهيم والأطروحات، وتتغير بذلك المنظومة المعرفية والتواصلية "وهذا ما يمنح الحدث بعده الإنطولوجي إذ معه ...يتكون فضاء جديد للعقل"[11].

فللحدث بعده الإنطولوجي والعقلي، من حيث أنه يساعد على تغيير الرؤية والتأويل والمفاهيم، بل يسمح "بتسمية ما لا يجوز تسميته، أو قول ما كان يمنع قوله أو فهم ما كان يمتنع فهمه أو فعل ما لم يكن بالمستطاع فعله"[12].

فالإنسان المفكر فعلا هو من يفكر فيما يحدث ولما يحدث وكيف يحدث من أجل صوغ الحدث والمشاركة في صنعه، وإيجاد الحلول له، فليس المهم هو الفكرة فقط، بل في كيفية طرحها وأسلوب التعاطي معها، فقد تكون مثلا المقولة عقلانية والأسلوب دوغمائي وهنا نقع فيما يسمى بمأزق الفكر، ولهذا لا بد من تحديد مهمة الفكر الأساسية حتى نتجنب مثل هذا المأزق، فحسب علي حرب "إن مهمة الفكر في المقام الأول في القراءة والفهم والعالم إنما يتغير بقدر ما تتغير أدواته المفهومية، وهذه المهمة هي مهمة نقدية تقوم على تفكيك عوائق الفكر وآليات عجزه أو على تعرية ممارساته الباطنة والمعتمة لإعادة تركيب الواقع من جديد، بتحرير الفهم من التهويمات الإيديولوجية"[13].

3. الفلسفة والحدث السياسي:

إن ما تشهده الساحة السياسية اليوم من تطورات وتغيرات بل وثورات، يشكل حدثا في حد ذاته، هذا الحدث كان ولا يزال من صنع الفكر والفكر يتأمله، ولقد عرف الفكر الفلسفي السياسي حدثا هاما في الواقع العربي، هو بزوغ ذات تاريخية جديدة ومرحلة حاسمة هي التي قادت إلى الثورة، فبعد أن كان خطاب العنف والجماعات الأصولية هو السائد، وما نتج عنه من قمع وتسلط وقضاء على كل حركة تغيير باسم المجتمع والشعب، تحرر الوعي العربي وأنتج خطابا سياسيا وثوريا جديدا، يستمد أصوله من ذاته لا يستند في ذلك لا إلى الخطابات الإثنية ولا الإيديولوجية، مما جعل الوطن العربي يعيش حراكا، محطما كما قلنا من قبل أطروحة الشعوب التي لا تستيقظ ولا تعي ولا تفكر ولا تغير "إن الحروب والثورات قد حددت اليوم ملامح القرن العشرين...وكما تميزت هذه الحروب والثورات عن عقائد القرن التاسع عشر كالقومية والأممية والرأسمالية والإمبريالية والاشتراكية والشيوعية...مازالت الحرب والثورة تشكلان القضيتين الأساسيتين المركزيتين"[14].

وبهذا فقد بدأت ملامح فكر سياسي في التشكل ساعده في ذلك الدور الإنتلجنسي التنويري، وأصبحت أشكال السلطة محل تغيير، وكذلك آليات ممارستها وعلاقتها بوسائل الإعلام والاتصال، كما أن الكثير أرجع هذا الحدث السياسي إلى استيقاظ الوعي والفكر الذي كان يغرس في الماضي، وأدى إلى الإيمان بأن الفكر التنويري سيقود إلى نتائج ولو بعد حين، بل وان هذا الوعي وهذا النهوض يعود إلى ذلك الصراع

الفكري السياسي الطويل بين السلطة والمثقف، والتي قادت إلى تحطيم النظرة للفكر والفلسفة والثقافة على أنها لا تغير ولا يمكنها أن تصنع الحدث وتغير الواقع، لكن" كيف يمتلك الفيلسوف السلطة ليحقق آراءه في سياسة المجتمع والناس وجوانب الحياة المختلفة" [15].

4. الفلسفة والحدث الإعلامي:

لا يمكن الحديث عن الفلسفة والتكنولوجيا دون الحديث عن الفلسفة والحدث الإعلامي، فالإعلام بمختلف وسائله مدين للتكنولوجيا وتعتبر التكنولوجيا والإعلام وسائل لنقل الحدث، سواء أكان سياسيا أم فكريا أم غير ذلك، ونحن نعيش زمن العولمة، التي من أهم سماتها أنها قربت بين المسافات وجعلت كما قيل: "الكون قرية صغيرة" خاصة عن طريق أجهزة الاتصال والمعلوماتية من هوائيات وهواتف نقالة وانترنت "فما يحدث الآن بفعل الانفجار الكبير والتطور الهائل في تقنيات الاتصال و وسائل الإعلام أن البشرية تدخل في فضاء جديد هو الفضاء الإلكتروني الذي تتغير فيه العلاقات بالمكان والزمان بالمدينة والمجتمع، بالسلطة والسياسة، فضلا عن المعرفة والثقافة"[16].

هذا هو التطور الذي عرفته التكنولوجيا والإعلام، حيث أصبحا يصنعان الحدث والحدث يصنعهما، بل وامتد الأثر خاصة للثقافة، كما يقول علي حرب "وهذا شأن الثقافة في عصر التلفزة والعولمة، حيث غزو الصور وسلطة الحواسيب وبنوك المعلومات، إنها لم تعد كما كانت عليه في عصر المطبعة والصحيفة أو الكتاب، بل هي آخذة في التغير في مؤسساتها ومعاييرها ووسائلها بقدر ما تغيرت وسائط الفكر والمعرفة وبقدر ما تغيرت القوى التي تسهم في صناعة الحياة وتشكيل العالم"[17].

وتساهم وسائل الإعلام اليوم في نقل الحدث إيجابا وسلبا "إن وسائل الإعلام الحديثة تعمل كعدسة مكبرة، فتضخم لمن يقف أمام شاشاتها في لحظات خاطفة مشاهد الحركة الجماعية ودماء الاغتيالات ومشاهد الحروب الأهلية، والرعب وقصور الأمراء الفخمة والمدن المدمرة لجيوش محلية أو أجنبية قادمة من أربع جهات الكون"[18].

وهنا قد تنشر وسائل الإعلام فلسفة جديدة هي فلسفة العنف والإرهاب ، كما أنها ساهمت في بروز الثورات المعاصرة "قد يكون مصدر العنف وسائل الإعلام خاصة التلفزيون وما يقدمه من وجبات عنيفة للصغار والكبار والتي أصبحت غذاءً يوميا للشعور والخيال، حيث أصبحت مناظر الدماء والدمار والانفجاريات والأشلاء الممزقة وجبات يومية أو ساعية تقدمها فضائيات العالم"[19].

الإعلام سلاح ذو حدين كما يقال، لأنه يشارك من الجهة الإيجابية في تكوين الشخصية، والتنشئة الاجتماعية والحوار والنقاش ونقل المعلومات وتطوير الإنسانية، والتربية والنهوض الثقافي والترفيه، وفي المقابل يشارك سلبا في نشر ثقافة العنف والإجرام والانحلال الخلقي، والإرهاب الإلكتروني والجريمة

المنظمة، والتحكم في عقول الناس، واختراق الثقافات وتهديد الهويات والحضارات، لهذا هناك من ينادي بفكرة الأمن الإعلامي، لأنه قد يكون أساس السيطرة، بقول **جوزيف ناي** وهو مسؤول سابق في البنتاغون: "كيف أنه سيكون من السهل على أمريكا أن تسيطر سياسيا على العالم في المستقبل القريب، وذلك بفضل قدرتها التي لا تضاهى في إدماج النظم الإعلامية المعقدة"[20].

5. الفلسفة والحدث العلمي والتكنولوجي:

لا يمكن فصل الفلسفة عن الحدث الفكري والسياسي والإعلامي والبيئي، كذلك لا يمكن فصلها عن الحدث العلمي والتكنولوجي، ولو أن الاهتمام بفلسفة العلم سبق الاهتمام بفلسفة التكنولوجيا، فهذه الأخيرة حديثة نسبيا، فلم تكن فلسفة التكنولوجيا من نصيب الفلاسفة والمفكرين، ولو أننا نقول بأن اهتمام الفلاسفة العلماء بفلسفة العلم يعد تمهيدا للاهتمام بفلسفة التكنولوجيا، فبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الإنسانية تطرح العلاقة بين العلم والتكنولوجيا والأخلاق والإنسان وغيرها، وبدأت تتشكل فلسفة جديدة هي فلسفة التكنولوجيا، خاصة بعد تطور وسائل العلم والإعلام، وهنا يقول **مجدي الجزيري** صاحب كتاب "الفلسفة بين الأسطورة والتكنولوجيا": "إن الاهتمام بفلسفة التكنولوجيا هو اهتمام حديث نسبيا، وقبيل الحرب العالمية الثانية لم يكن تناول قضية التكنولوجيا من نصيب الفلاسفة والمفكرين"[21].

ولهذا فقد أدى التطور التكنولوجي إلى تزايد تفاؤل الإنسان بالسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لصالحه، وهنا بدأ طغيان المادة على فكر الإنسان، وأصبح تقديس العلم والتكنولوجيا بل والآلة، مكان القيم والدين، مما انعكس على العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية للجنس البشري.

وقد أدى السباق نحو العلم والتكنولوجيا والتسلح ظهور أسلحة دمار شامل تهدد الإنسان نفسه، وبالمقابل أدى ذلك إلى إفقار الطبيعة واختلالها، وظهرت مشكلات الفقر والجوع وغيرها، بل وهناك من يرى أن التكنولوجيا هي سبب الشرور في عصرنا، "واتجه العديد من فلاسفة الحضارة إلى الهجوم عليها واعتبارها التجسيد الحي لأزمة الحضارة الغربية المعاصرة...و التخلص من أسطوريتها"[22].

وأصبحت التكنولوجيا أسطورة تمتاز بالقداسة ومن يملكها يملك الطبيعة والإنسان فاضطر الفلاسفة إلى إدخالها في النظرة النقدية القيمية الإنسانية الأبعاد، ولم يعد بإمكان أي فيلسوف معاصر أن يتجاهل تأثير التكنولوجيا على مجرى الواقع الإنساني كما يذكر ذلك الفيلسوف الألماني **يورغن هابرماس** في كتابه "المعرفة و المصلحة".

وبعد أن امتد تأثير التكنولوجيا إلى جميع مظاهر الحياة تشكلت فلسفة التكنولوجيا وأصبح لها "ثلاث مظاهر: المظهر الطبيعي ويشمل العلم والهندسة وعلم التنبؤ، والمظهر الفردي والإنساني ويشمل

الانتروبولوجيا وعلم النفس وعلم وظائف الأعضاء وعلم الجمال المظهر الاجتماعي ويشمل الاقتصاد وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والتاريخية"[23].

ولهذا يعتقد بعض الفلاسفة أن في التكنولوجيا يتحقق امتزاج الثقافة والسياسة والاقتصاد في نسق شامل، وهذا ما قادهم إلى نقد العقلية التكنولوجية التي جعلت الإنسان لا يفكر إلا في الاستهلاك، بل وأصبح ذا بعد واحد عندما تحول من كائن مفكر إلى كائن مستهلك وخضع لمقولة جديد تقول: "أنا أستهلك إذن أنا موجود".

ولقد ظهرت نظرة تفصل مباحث أو قضايا فلسفة التكنولوجيا كنظرية المعرفة والأخلاق والميتافيزيقا وهناك نظرة تخضع كل قضايا الفلسفة التقليدية لفلسفة التكنولوجيا على اعتبار أن هذه الأخيرة لا يمكن فصلها عن مباحث الفلسفة.

"فالتكنولوجيا عند **بونج** تمثل كيانا من المعرفة يوجهه المنهج العلمي، ويمكن استخدامها في توجيه وتحويل أو إبداع أشياء أو عمليات طبيعية أو اجتماعية تستهدف تحقيق أهداف عملية لها قيمتها"[24].

لكن كما ذكرنا هناك من نظر للتكنولوجيا نظرة إدانة "فعند **كارل ياسبرس** نلمس إدانة شاملة للتكنولوجيا من خلال ما أدت إليه من تحول الإنسان إلى مجرد وظيفة من الوظائف عاجزة عن أن تجد سبيلا إلى العلو الجدير بالوجود الإنساني الأصيل"[25].

بل ولقد لقيت التكنولوجيا نقدا كبيرا خاصة من الفلاسفة الوجوديين أمثال **هيدجر** "عندما يتجه هيدجر إلى تحديد ماهية التكنولوجيا في ذاتها، نجده لا يحددها على نحو تقليدي بوصفها مجرد أداة محايدة أو نشاط إنساني، بل يعرفها باعتبارها نوعية متميزة من الحقيقة أو الكشف...فالتكنولوجيا المعاصرة كما يراها هيدجر تتحدى الطبيعة وتسلبها ما تنطوي عليه من طاقات يمكن تخزينها ونقلها، ويقارن هيدجر بين طاحونة الهواء التقليدية أو الساقية، وبين جهاز توليد الكهرباء فكلاهما يسخر الطبيعة ويخضعها لأغراض وأهداف إنسانية"[26].

والمشكلة تكمن في أن الإنسان وضع الطبيعة خارج ذاته، ولم يقيم معها حوارا إنسانيا، فإنتاج أشياء من الطبيعة ليس لها قيمة مستقلة عن الاستعمال الإنساني "فالتكنولوجيا عند هيدجر بمثابة الرفض الوجودي لعالم الميتافيزيقا والروح"[27].

والمشكلة حسب هيدجر تكمن في أن التكنولوجيا المعاصرة وقعت في نوع من "الدوغماطقية لأنها على ثقة مطلقة بقدرتها على أن تنشئ هذا أو تضع ذلك، فهي لم تدرك حدودها وإمكانياتها ولا تدرك بالتالي نفسها"[28].

وعلى هذا هل يمكن رفض التكنولوجيا أو إلغائها من حياتنا؟ هل نملك القدرة على إقصائها؟ هنا يجيب هيدجر فيقول: "أنه ليس في مقدورنا أن نفعل ذلك، وليس في استطاعتنا إلا أن نضع التكنولوجيا نفسها موضع التساؤل فنبتعد مسافة عنها، ونتأملها بعمق، نعلو عليها ونتحرر من سحرها وطابعها القطعي... لنتجنب السقوط في إسار التكنولوجيا"[29].

فالعلاقة بين التكنولوجيا والوجود الإنساني عند الوجوديين علاقة متوترة، لأن التكنولوجيا هي نتاج للحضارة الغربية المعاصرة التي قضت على حقيقة الوجود الإنساني في كل أبعاده، كما أن طابعها القطعي جعلها خطر على الوعي والإنسان، بل إنها أصبحت عقيدة تمتاز بالقداسة، والأسطورية، فلا بد من أن نجعل منها وسيلة لا غاية في حد ذاتها بتوظيفها في خدمة الإنسان، كما يرى **هربرت ماركوز**، ونجعلها تقضي على كل كدح وعبودية، وتقود إلى تحرر الإنسان، وخلق وعي جديد أو حساسية جديدة، كما عبر عنها ماركوز، كما يجب أخلقت التكنولوجيا بجعلها تنظر للإنسان نظرة أخلاقية لا نظرة مادية عضوية، لهذا لا يجب أن نجعل من التكنولوجيا أحادية البعد.

"فإذا كانت الآلات الضخمة والأسلحة التكنولوجية المعقدة يمكن أن تحقق المزيد من القوة والبطش والإرهاب، إلا أنها من ناحية أخرى تخلق نظاما بين أنصارها من جنود وقادة يخضع الحياة العائلية ومختلف الأنشطة كاللعب والموسيقى إلى أهداف وأغراض عسكرية خالصة، والنتيجة الحتمية لكل ذلك تتمثل في أسطورة الآلة أو سيادة التقنية، ومن ثمة تكتسب التكنولوجيا قيمة مطلقة فتصبح أسطورة أو عقيدة لا تتزعزع"[30].

ولكن يمكننا مواجهة التكنولوجيا والتحكم فيها لأنها من صنع الإنسان وفي يد الإنسان وفي خدمة الإنسان، ولا يكون ذلك إلا بتحويلها من غاية إلى وسيلة، وبعد بظهور فلسفة العولمة حان الوقت لإعادة النظر في عالمنا اليوم بدلالة العلم والتكنولوجيا، اللذين أصبحا طريقا للمستقبل، وسيصل الوقت الذي تتدبر فيه شؤونك وأنت أمام جهاز الحاسوب فالتكنولوجيا هي جواز مرورنا إلى عالم الغد.

6. الفلسفة والحدث الإيكولوجي:

بما أن الحدث العلمي والتكنولوجي يؤثر على الإنسان، فهو يؤثر كذلك على البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والعلاقة بين التطور التكنولوجي والبيئة هي علاقة تضاد، فكلما زاد هذا التطور وانتشرت المصانع وزاد الإنتاج، وكثر استنزاف خيرات الطبيعة، انعكس ذلك سلبا على البيئة، بل وهدد البيئة بخطر اسمه الموت البيئي، فلقد تغيرت البيئة التي يعيش فيها الإنسان، بسبب غبار المصانع ونفاياتها الخطرة وسمومها القاتلة، كل هذا من أجل السيطرة على الطبيعة، والرقي بحياة الإنسان، لكن الإنسان بفعله هذا نسي أنه يقوم بتدمير ذاتي، لأنه يقضي على البيئة التي يعيش فيها، ولقد حدث خلل في البيئة

وظهرت مشكلة طبقة الأوزون، والاحتباس الحراري، والعواصف الحرارية، فاختل المناخ واضطربت حياة الإنسان، وحتى الحيوان، فالبيئة تستغيث، ولهذا عندما شعرت البشرية بالخطر دقت ناقوس الخطر، وبدأت الندوات والملتقيات والمؤتمرات، والأفكار تطرح وتناقش، "ففي صيف- عام 1989 كانت مشكلات البيئة والكارثة المناخية لأول مرة على جدول أعمال مؤتمر قادة الدول السبع الأقوى اقتصاديا"[31].

وما هو معروف أن الدول المصنعة الكبرى هي التي تتنعم بخيرات الطبيعة وتستحوذ عليها، كما أنها لا تفكر في الأجيال القادمة، لهذا انعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية في ريو دي جانيرو سنة 1992 "حيث أعلن المجتمعون عن عزمهم على تحقيق تنمية ملموسة فعالة، وتوجيه اقتصادي لا يترك الأجيال القادمة تقف إزاء بيئة وموارد طبيعية في حالة أسوأ مما هي عليه الحال الآن، وكذا تقرر تخفيض التلوث الناجم عن انتشار ثاني أوكسيد الكربون في الدول الصناعية إلى أدنى تقدير بحيث يصل مع نهاية القرن إلى المستوى الذي كان عليه الحال في عام 1990"[32].

لكن كل الدلائل تؤكد أن هذه الدول زادت في إنتاج مصانعها وزاد استهلاكها للطاقة في ظل الصراع بينها، والسباق نحو امتلاك الطاقة والأسلحة، والسيطرة على الاقتصاد العالمي، مما زاد في الآثار السلبية على البيئة والمناخ، فقد تضاعف عدد السيارات وما تفرزه من غازات سامة، وزاد عدد المصانع وإفراز غاز ثاني أوكسيد الكربون، بل وتدخل الإنسان في ما يسمى بالتحكم في الجينات، وأصبح النبات خاضع لهذا التحكم، فظهرت الأطعمة المعدلة وراثيا والهجينة، وكذلك الحيوانات، وربما ستمتد يد الإنسان للإنسان نفسه مما أدى إلى ظهور أنواع جديدة من الأمراض والسرطانات، و قاد إلى ضعف المناعة عند الإنسان، لهذا لا بد من تدخل العقل والفكر للحد من أخطار العلم والتكنولوجيا على البيئة وعلى الإنسان من أجل عقلانتها، ولا بد من التفكير في الأجيال القادمة، وعلى الإنسان أن يتخلى عن أنانيته اتجاه غيره و اتجاه بيئته.

الخاتمة

من خلال ما سبق تحليله وعرضه من عناصر، يمكن أن نصل إلى أهم نتائج البحث التالية:

_ أن الفلسفة كعمل فكري وجهد إنساني شاركت ولا تزال تشارك في صنع الحدث، كما أن هذا الحدث يصنعها، فهو بمثابة المادة الخام التي تفكر بها الفلسفة.

_ لقد صنعت الفلسفة الحدث مهما كانت طبيعته في الفكر الشرقي القديم واليوناني، ثم الوسيط والحديث فالمعاصر، باعتبارها نشاط إنساني يعبر عن روح كل عصر.

_ تشارك الفلسفة في بلورة الواقع وصناعته، عن طريق النقد والبناء، فالفلسفة ليست أنساق مغلقة وأصحابها يسبحون في علم مطلق من المثالية.

_ بما أن الفلسفة نتاج الفكر فلقد صنعت الفلسفة ولا زالت تصنع الفكر بما تبدعه وتطرحه من أفكار.

_ الفكر الفلسفي صنع الفكر السياسي وصنع الحدث السياسي، ونظر له سواء في نظرته للدولة أو السلطة، أو في حديثه عن الثورة أو العنف.

_ والفكر الفلسفي كغيره من أنواع التفكير الأخرى استفاد من التطور العلمي والتقني الكبير لوسائل الإعلام، وجعلها في خدمة خطاباته، كما قام بنقدها وتبيان دورها وآثارها.

_ ولقد عرف الفكر الفلسفي تطورا رافق تطور العلم والتكنولوجيا، حيث ساهمت الفلسفة في نقد العلم وصناعة الحدث العلمي، وأطروحات فلسفة التكنولوجيا وأثرها على الإنسان.

_ كما اهتمت الفلسفة بالحدث الايكولوجي البيئي وأشارت للخطر على البيئة، دافعة رجال العلم والفكر والثقافة على السواء يحذرون من خطر الموت البيئي.

الهوامش

([1]) علي حرب، الفكر و الحدث، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط1، 1998، ص 12.

([2]) المرجع نفسه، ص 16.

([3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([4]) المرجع نفسه، ص 17.

([5]) علي حرب، الفكر والحدث، مرجع سابق، ص 15.

([6]) مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء، القاهرة، ط3، 1998، ص 08.

([7]) المرجع نفسه، ص 10.

([8]) علي حرب، الفكر والحدث، مرجع سابق، ص 08.

([9]) المرجع نفسه، ص 17.

([10]) المرجع نفسه، ص 08.

([11]) علي حرب، الفكر والحدث، مرجع سابق، ص 09.

([12]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([13]) المرجع نفسه، ص 15.

([14]) حنة أرندت، في الثورة، ترجمة عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008 ص 13.

(15) علي فهمي خشيم، الفلسفة والسلطة ومقالات أخرى، الدار الجماهيرية للنشر ليبيا، ط1، 1999 ص 08

([16]) علي حرب، الفكر و الحدث، مرجع سابق، ص 08.

([17]) المرجع نفسه، ص 09.

([18]) جورج قرم، انفجار المشرق من تأميم قناة السويس إلى غزو العراق (1956-2006)، ترجمة محمد علي مقلة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2006، ص 25.

([19]) حسن إبراهيم أحمد، العنف من الطبيعة إلى الثقافة، دراسة أفقية، النايا، دمشق، ط1، 2009 ص 53

([20]) جوزيف ناي: نقلا عن أيمن نورالدين عمر، العولمة و متقبل البشرية –رؤية إعلامية- دار لبنان ط1، 2000، ص 61.

([21]) مجدي الجزيري: الفلسفة بين الأسطورة و التكنولوجيا، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002 ص 235.

([22]) مجدي الجزيري: الفلسفة بين الأسطورة و التكنولوجيا، مرجع سابق، ص 236.

([23]) المرجع نفسه، ص 238.

([24]) مجدي الجزيري: الفلسفة بين الأسطورة و التكنولوجيا، مرجع سابق، ص 241.

([25]) المرجع نفسه، ص 249.

([26]) المرجع نفسه، ص 250.

([27]) المرجع نفسه، ص 252.

([28]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([29]) مجدي الجزيري: الفلسفة بين الأسطورة و التكنولوجيا، مرجع سابق، ص 252.

([30]) المرجع نفسه، ص 258.

([31]) أيمن نور الدين عمر، العولمة و مستقبل البشرية، رؤية إعلامية، دار لبنان، ط1، 2000، ص 34.

([32]) المرجع نفسه، ص 35.